القنبلة

محمود سالم

القنبلة

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

القنبلة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٠ ٢٤٤٨ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب بين عامي ١٩٧٨ و١٩٨٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
محاضرة لم تتم	١١
الكاديلاك الخضراء	١٧
العجلة تدور	٢٣
الأسود يكسب	٢٩
سلسلة من المفاجآت	٣٥
القنبلة	٤١
محاولة مستميتة	٤٧
صاروخ الليل	٥٣

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

محاضرة لم تتم

كان المقر السري للشياطين الـ «١٣» مضاءً كله من الداخل ... وقد أخذت السيارات السريعة التي تُشبه القذائف تصل تباعًا ... تحمل الشياطين في أوَّل زيارة لهم للمقر بعد سنة كاملة من خروجهم منه ... حقَّقوا فيها انتصارات مذهلةً على أعتى العصابات ... وأخطر المجرمين ... وحصلوا على أدق الأسرار التي تهم البلاد العربية ... وكانوا في كل ما فعلوا موضع إعجاب قائدهم الخفي رقم «صفر»؛ هذا الرجل المحاط بالسرية والغموض، والذي لا يعرف حقيقته أحد.

وأخذت الأضواء الحمراء تظهر وتختفي في قلب الجبل، حيث المقر السري في مكان مجهول من إحدى الصحراوات العربية قرب الشاطئ ... ثم تنطفئ الأنوار سريعًا وتُضاء الأنوار الزرقاء والخضراء.

ورغم أن شخصيات الشياطين الـ «١٣» كانت معروفةً تمامًا للعاملين في الكهف السري (ك.س)، إلا أنهم كانوا لمزيدٍ من الحرص والسرِّية يُطلقون الأشعة تحت الحمراء في الظلام، وخلفها آلات تصوير ذات مدًى بعيد ... كانت تُبدي الوجوه الشابَّة القادمة على شاشة تليفزيون داخلية ... فإذا ما تأكد المراقبون من شخصية القادم ... تركوا الأبواب التي تعمل إلكترونيًّا تفتح للسيارات التي كانت تدخل بسرعة هائلة، ثم تقف بضغط الهواء الداخلي ... كأن أصابع ضخمةً تُمسكها في مكانها.

وكان الشياطين يدخلون إلى قاعة الاجتماعات فيتبادلون التحية بحرارة خاصة. وإنهم منذ فترة قد انقسموا إلى قسمين ... قسم يعمل في بيروت ... وقسم يعمل في دمشق.

وكان هذا الاجتماع مُخصَّصًا لتقييم العمل الذي قام به الشياطين في مغامراتهم الاثنتَي عشرة السابقة ... ثم يتلقَّون آخر المعلومات التي حصل عليها رقم «صفر» من مختلِف أقسام المخابرات العربية ... وغيرها من الأجهزة السرِّية التي يتعامل معها رقم «صفر»

ويحصل بها على المعلومات الضرورية التي يُهم الشياطين الـ «١٣» معرفتها ... وبوصول فهد — وكان آخر من وصل — أُغلقت الأبواب الصخرية ... وعاد الجبل إلى هدوئه وسكونه ... كأنما ليست تحته حياة كاملة تجري ... وتتجمَّع في جوفه أخطر مجموعة من المغامرين شهدتها المنطقة العربية.

وكان كلٌّ من الشياطين قد أعد ملفًّا عن الأحداث التي مرَّت به ... والتي اشترك فيها ... وقد أوضح ملاحظاته على أسلوب العمل ... والأخطاء البسيطة التي وقع فيها ... وأخذ كلٌّ منهم ينظر إلى الساعة الكبيرة في صدر صالة الاجتماعات، والتي كانت تُشير إلى السادسة إلَّا بعض ثوانٍ ... وهم جميعًا على استعداد للاستماع إلى صوت رقم «صفر» الذي لم يسمعوه منذ عام.

وتعانق عقربا الساعات والثواني ... وسمع الشياطين الـ «١٣» صوت رقم «صفر» العميق، يُحيِّيهم ثم يقول: أشكركم كثيرًا على الجهد الممتاز الذي بذلتموه خلال العام الماضي ... وأتمنَّى أن تواصلوا عملكم بهذه الكفاءة ... بعد أن أوقعتم بعدد من أخطر وأعتى المجرمين ... وأقمتم العدل ... ورفعتم الظلم ... وكنتم عند حسن ظني تمامًا ...

وصمت رقم «صفر» لحظات ثم قال: كان المفروض أن نستعرض معًا عمل العام الماضي ... ولكني فضَّلت ألَّا نُضيع وقتًا كثيرًا ... سوف تتركون ملفات الملاحظات على مائدة الاجتماع وسوف آخذها لدرس ملاحظاتكم ... وإن كان هناك شيء يستحق المناقشة فيها فسوف نناقشها معًا.

أحس «أحمد» بالارتياح ... فقد كان يكره الحديث الطويل والمناقشات ... ونظر إلى «إلهام» وابتسم ... وابتسمت «إلهام» أيضًا ... فقد كانت مثله تمامًا ... وربما كان اتفاقهما في الآراء والميول هو سبب هذه الرابطة العميقة من الحب التي ربطت بينهما.

ومضى رقم «صفر» يقول: ولهذا فسوف أُحدِّثكم اليوم في موضوعَين هامَّين ... أرجو أن نتمكَّن من الإحاطة بهما ... لأن هذا من صميم عملكم ... فقد جاءني تقرير عن الغوَّاصة السرِّية الألمانية التي غرقت في المحيط الهادي، ولم تستطِع الجمهورية الألمانية العثور على مكانها ... لقد عثرت دولة أخرى على مكان الغوَّاصة ... ليس هذا فقط، ولكن تم انتشالها أيضًا.

وبدا الاهتمام على وجوه الشياطين، وقال رقم «صفر»: لقد حصلت أجهزتنا على الخطة رقم «٣» التي تم بها انتشال الغواصة ... وهي ذات جانبَين ... الجانب الأول: خطة تمويه واسعة النطاق ... قامت بها أجهزة الدولة التي انتشلت الغواصة حتى لا يعلم

أحد أنهم عثروا عليها ... والجانب الثاني: التكنولوجيا المتقدمة جدًّا التي أتمَّت هذا العمل الخطير، وإن كان قد وقع خطأ.

وسكت رقم «صفر» ثم مضى يقول: الخطأ أنه أثناء رفع الغواصة ... انشطرت إلى نصفَين ... بسبب ضغط المياه، والتآكل الذي أصاب هيكلها ... وسوف نشاهد الآن رسمًا توضيحيًّا لأسلوب انتشال الغواصة ...

أُطفئت الأنوار ... والْتفت الشياطين إلى شاشة كبيرة ظهر عليها رسم متقن لسفينة ضخمة لم يسبق للشياطين رؤية مثلها ... وبدأ صوت رقم «صفر» يقول: هذه السفينة صُنعت خصيصًا لعملية الانتشال، حمولتها ٣٦ ألف طن ... وارتفاعها ٢٩ مترًا ... وعرضها ٤٠ مترًا ... إنها تُمثِّل رصيفًا عائمًا ... وتغيَّرت الصورة وشاهد الشياطين صورة صندل عائم ... مساحته مثل مساحة ملعب كرة القدم، وقال الصوت: وهذا الصندل الذي يُشبه ملعب كرة القدم، صُنعت جوانبه من الصلب، وثُبِّتت فيه مخالب فولاذية ضخمة مُهمَّتها رفع الغواصة. أمَّا الآلات التي تُحرِّك هذه المخالب فموجودة في السفينة الأولى التي سُميت «جونومار».

ومضى الصوت يقول: وحتى لا تكشف الأقمار الصناعية الألمانية العملية، فقد تم إنشاء مظلة بيضاوية الشكل تُغطي منطقة العمل ... وعندما رفعت المخالب الغواصة، وضعتها على ظهر الصندل العائم الذي أبحر بها ...

وتُعتبر هذه العملية أكبر عملية انتشال تمَّت حتى الآن، ومنه اتضح أن الغواصة مزودة بثلاثة صواريخ نووية، وعدد من الطوربيدات من ذوات الرءوس الذرية ... إلى جانب مجموعة من الشفرات المستخدمة في الاتصالات السرِّية.

إن هذه العملية قد تُذكِّركم بعملية كنوز الملك «حيرام»، والخطة التي وضعتها العصابة لإخفاء الكنز الأثري ... ولكن ...

ولم يُتم رقم «صفر» جملته ... فقد دوَّى صوت عميق في جنَبات الكهف ... عرف الشياطين جميعًا أنه صوت إنذار هام ... ومعناه أن معلومات على جانب كبير من الخطورة قد وصلت إلى المقر السرِّي ... وأنه يجب بحثها فورًا ...

وانقطع صوت رقم «صفر» ... واختفت أنوار صالة الاجتماعات ... وبدأت رءوس الشياطين تقرب بعضها من البعض، وقد انتقلت الأسئلة من فم إلى فم ... ما هي المعلومات التي وصلت الآن؟ ومدى أهميتها؟ وهل لهم دور فيها؟

ومضت لحظات من الانتظار، ثم عاد صوت رقم «صفر» يصل إليهم من مختلِف أنحاء القاعة كالمعتاد ... قال الصوت العميق: لقد وصلت الآن رسالة على أكبر جانب من

الأهمية؛ إن قنبلةً ذريةً تُصنع الآن ... أو تم صنعها فعلًا في إحدى دول الشرق الأوسط ... وهي قنبلة صغيرة نسبيًّا ... ولا تحتاج في إطلاقها إلى طائرة أو صاروخ.

وسكت رقم «صفر» ... وقفزت علامات الاستفهام من رءوس الشياطين الـ «١٣» ... قنبلة ذرية! ... شيء مذهل! ... أين؟ وكيف؟ ومن؟

وأجاب رقم «صفر» على الأسئلة دون أن يسمعها: أنتم تذكرون أنه منذ عام تقريبًا نشرت الصحف أن محطة تليفزيون كولومبيا في الولايات المتحدة قدَّمت طالبًا في برنامج تليفزيون ... وهذا الطالب يدرس الرياضة والعلوم في إحدى الجامعات، وقد استطاع الطالب أن يشرح بطريقة عملية أن أي إنسان على قدر من المعرفة بالعلوم يمكنه صنع قنبلة ذرية.

وسكت رقم «صفر» لحظات ثم مضى يقول: وقد أوضح الطالب المعادلات الرياضية والوزن الذري لمختلِف المواد المطلوبة لإنتاج القنبلة ... وقال إنها لا تُكلِّف أكثر من ١٠٠ ألف دولار.

تذكَّر الشياطين أنهم قرءوا هذا الخبر فعلًا ... وسمعوا رقم «صفر» يكمل حديثه قائلًا: وقد أكَّد كبار علماء الذرة في الولايات المتحدة الأمريكية أن المعادلات والمعلومات التي قدَّمها الطالب الأمريكي صحيحة فعلًا ... وأنه بناءً على هذه المعلومات يُمكن صنع قنبلة ذرية صغيرة تكفي لتدمير مدينة متوسطة الحجم ... وقتل ربع مليون شخص.

وصمت رقم «صفر» ... وساد صمت عميق قاعة الاجتماعات الواسعة، ثم أكمل رقم «صفر» حديثه: وقد حرصتْ محطة التليفزيون على إخفاء اسم ومكان الطالب ... ولكن ...

وساد الصمت ثواني قليلةً ثم قال الصوت العميق: ولكن الطالب اختفى منذ شهر تقريبًا، وقد أخفت أجهزة الأمن في الولايات المتحدة خبر اختفائه؛ حتى لا تُحدث ذعرًا في البلاد ... لأن هناك احتمالًا بأن تكون إحدى العصابات القوية مثل عصابة «المافيا» قد اختطفته، وأجبرته على صنع القنبلة ... وربما تكون إحدى الجمعيات الثورية قد فعلت هذا ... ولكن حدث ما هو أخطر ... إن الطالب الأمريكي المختفي قد اتجه إلى منطقة الشرق الأوسط!

ونحن نعرف أن هناك صراعات ضخمةً تدور في المنطقة ... ومن الممكن أن يلجأ أحد أطراف النزاع إلى استخدام الطالب في صنع القنبلة لتهديد الطرف الآخر ... ومن الممكن أيضًا أن تكون إحدى العصابات الدولية هي التي خطفته وأحضرته إلى المنطقة لصنع القنبلة ... حتى تتمكَّن من تهديد من تشاء وتبتز مبلغًا ضخمًا من المال.

وبدا واضحًا أن الاجتماع الذي حضر من أجله الشياطين الـ «١٣» لن يتم، وهذا ما قاله رقم «صفر»: إنني آسف أن أُنهي هذا الاجتماع بأسرع ما يمكن، وأطلب منكم السفر فورًا إلى مختلِف البلاد التي جئتم منها ... المطلوب أن تتشمَّموا أخبار هذا الموضوع بكل الطرق ... إننا أمام حدث خطير لم يسبق له مثيل ... وإنني أعتبره بالنسبة لكم تحديًا ضخمًا ... فهل تقبلون التحدي؟

ولم يكن رقم «صفر» ينتظر إجابة ... فقد كان يعلم أنهم يقبلون.

الكاديلاك الخضراء

تفرَّق الشياطين الـ «١٣» كلٌّ إلى بلده ... وكلٌّ منهم يُدرك صعوبة بل استحالة المهمة التي تحدَّث عنها رقم «صفر» ... فكيف يعثرون على هذا الطالب الذي لم يرَوه أبدًا؟! صحيح أن رقم «صفر» وزَّع عليهم نشرةً صغيرةً بأوصافه كما ظهر على شاشة التليفزيون ... ولكنها أوصاف عامة ... شاب في العشرين من عمره، طويل القامة ... نحيل ... يضع على عينَيه نظارات طبية ... شعره أشقر يتهدَّل على جبينه.

ولكن هذه الأوصاف كلها يمكن أن تتغيَّر بقليل من التنكُّر ... والاسم غير معروف فيدخل أي بلد بجواز سفر مُزيَّف ... إن البحث عن صدَفة صغيرة في قاع المحيط ... ربما كان أسهل.

دارت هذه الخواطر وغيرها بأذهان الشياطين جميعًا ... ومنهم بالطبع «إلهام»، التي اتجهت هي و«باسم» إلى بيروت ... وكانت هي تُشرف على قسم الأجهزة الإلكترونية، وهو يُشرف على قسم بيع وإصلاح السيارات.

وظلت «إلهام» بعد عودتها بخمسة أيام في القسم تُفكِّر، ثم قرَّرت أن تكتب رسالةً إلى «أحمد» ... فلم يكن هناك ما يشغلها ... سوى انتظار أية معلومات جديدة من رقم «صفر»، والمرور يوميًّا على أماكن وجود السُّوَّاح لعلها ترى أي وجه يُشبه هذا الطالب الذي تحمل أوصافه في ذهنها كما هي في النشرة التي وزَّعها عليهم رقم «صفر» ... وكانت تعرف أن ما تفعله أشبه بالعبث ... ولكنها كانت تقوم بواجبها.

وضعت «إلهام» ورقةً بيضاء أمامها، وأمسكت بالقلم وفكَّرت قليلًا، ثم بدأت تكتب:

عزيزي «أحمد» ...

رغم أن بيروت مدينة ممتعة ... ورغم أنها بلدي ... ورغم أن في الإمكان دائمًا وجود شيء من التسلية والترفيه في هذه المدينة ... رغم ذلك كله أشعر بالملل؛ أولًا لأن المهمة التي تعرفها والتي نعمل من أجلها كلنا مهمة مستحيلة، بل خيالية. ثانيًا لأنك غير موجود ... أو قل لأنك أولًا غير موجود ... وثانيًا ... لأن المهمة خيالية ولن تؤدي إلى شيء إلا إذا تحرَّك الذين خطفوا الطالب الذري هذا ... وطلبوا شيئًا ما ... أو هدَّدوا، وطبعًا سوف يفعلون هذا بمنتهى الحذر ... وإذا كانت أجهزة الأمن في مختلِف الدول العربية لا تستطيع التصدي إليهم ... فكيف نصل؟! وكلٌّ منا واحد فقط في بلده ... أين ستبحث أنت؟ في القاهرة ... في الإسكندرية ... في المنصورة ... في أسوان؟ ... إن ذلك شيء مضحك.

وعلى هذا فإني أقوم بالواجب طبعًا ... وأمس زرت منطقة مغارة «جعيتا»، ولعلك تذكر المغامرة التي كانت لنا هناك ... وقد تذكرتك طبعًا ... وعندما جلست لأتناول طعام الغداء على الجبل تمنَّيت أن تكون معي.

لقد بعت اليوم أكبر صفقة من الأجهزة الإلكترونية منذ فتحنا هذا الفرع، والحقيقة أنني فكَّرت أن نعتزل المغامرات والمشاكل والمتاعب ونعمل بالتجارة ... فهذه الصفقة التي بلغت قيمتها عشرة آلاف ليرة، نكسب فيها نحو ثلاثة آلاف ليرة. وقد اشتراها جميعًا رجل واحد أجنبي ... قليل الكلام ... فقد وضع أمامي كشفًا بالأجهزة التي يُريدها ... وللأسف إن بعضها ليس موجودًا عندنا. وقد طلبت منه مهلةً ثلاثة أيام لأحضر له بقية طلباته فوافق ... وقال إنه سيعود.

كيف حالك يا «أحمد»، هل هناك أخبار؟ أرجو أن أراك قريبًا.

إلهام

ووضعت «إلهام» الخطاب في مظروف، ثم طلبت «سرور» ورجته أن يُرسل الخطاب عن طريقه ... وابتسم «سرور» عندما شاهد عنوان الخطاب؛ فقد كان إلى «أحمد»، ومعنى ذلك أن يُرسله «سرور» عن طريق عميل سرِّي يعرفه «سرور» ... ويقوم بعدة سفريات كل أسبوع بين القاهرة وبيروت لنقل الوثائق الهامة التي يُريد رقم «صفر» أو الشياطين إرسالها.

ولم يمضِ سوى يومَين؛ فقد تلقَّت «إلهام» رسالةً من «أحمد» في سطرَين: «ما هي نوع الأجهزة التي اشتراها الرجل؟ إذا عاد فراقبيه.»

حارت «إلهام» في سبب هذا السؤال، ثم قفزت في رأسها فكرة لعلها نفس الفكرة التي خطرت لـ «أحمد».

وأرسلت الرد في نفس اليوم: «الأجهزة متعددة الأنواع؛ منها جهاز لقياس الإشعاع، وجهاز لضبط الذبذبات، وجهاز ثالث لحساب حجم الانفجارات في المناجم، وأجهزة أخرى أقل قيمةً وأهمية. ولكن لماذا تسأل؟»

أرسلت «إلهام» رسالتها مع «سرور» في نفس اليوم ... وفي صباح اليوم التالي ظهر الرجل ... وكانت «إلهام» قد وضعت خطة المراقبة كما طلب «أحمد» ... فقد قدَّمت للرجل جهازًا واحدًا ممَّا طلبه، وقالت له إن الجهاز الثاني سيكون موجودًا بعد الظهر ... ولم يتحدَّث كثيرًا ... فقد دفع ثمن الجهاز وانصرف.

وأسرعت «إلهام» تضع باروكةً على رأسها، ونظارةً على عينَيها، ثم انطلقت خلف الرجل، ووجدت في انتظاره سيارة كاديلاك ضخمة ... وسرعان ما كانت تقفز إلى سيارتها وتتبعه.

عندما وصلت رسالة «إلهام» الثانية إلى «أحمد»؛ ركب طائرة المساء إلى بيروت ووصل المقر السرِّي في التاسعة، ووجد «باسم»، فسأله على الفور: أين «إلهام»؟

رد «باسم»: لا أدري!

أحمد: ألم ترَها اليوم؟

باسم: رأيتها في الصباح ... نزلتْ إلى قسم الأجهزة الإلكترونية، وذهبت أنا إلى قسم السيارات، وعندما حان موعد الغداء لم تظهر، وعلمتُ من «سرور» أنها تركت له رعاية القسم وخرجت في الحادية عشرة صباحًا دون أن تترك كلمةً واحدة.

أحمد: ألم تتصل تليفونيًّا؟

باسم: مطلقًا.

أسرع «أحمد» إلى غرفة اللاسلكي وأرسل تقريرًا سريعًا إلى رقم «صفر» عن الرسائل التي تبادلها مع «إلهام» ... ثم اختفاء «إلهام» ... ثم قال في نهاية التقرير: «المعتقد أن غياب «إلهام» سيطول ... وأننا وضعنا يدنا على أثر هام.»

وذهب «أحمد» إلى قسم الأجهزة الإلكترونية ونظر إلى مكتب «إلهام»، وكانت فكرة واحدة كافية لأن يرى أن «إلهام» قد تركت مذكرةً صغيرةً جدًّا مكتوبة بخط واضح: «الرجل ضخم الجثة ... يضغط على أسنانه باستمرار، أحمر الوجه، أشعث الشعر ... يستخدم يده اليسرى فقط، ويبدو أن يده اليمنى مشلولة أو بها عيب ما.»

وأضافت «إلهام» بخط سريع جدًّا: «إنه يخرج الآن وسيركب سيارة كاديلاك خضراء ومعه سائق ... وسأخرج خلفه.»

وقال «أحمد» لـ «باسم»: مطلوب البحث في لبنان عن رجل ضخم الجثة، أحمر الوجه، أشقر الشعر ... وأعسر ... ويركب سيارة كاديلاك خضراء ...

وبعد أن أرسل «أحمد» تقريرًا بهذه المعلومات إلى رقم «صفر»، قفز إلى سيارة سريعة وقفز «باسم» إلى سيارة أخرى، يدوران في بيروت بحثًا عن الرجل الأحمر ... والسيارة الخضراء.

ورغم أن «أحمد» كان يحاول أن يتفاءل إلا أنه كان يُحس أن «إلهام» في خطر شديد، والشياطين جميعًا خارج بيروت حسب التعليمات لرقم «صفر» ... وهذا الرجل الذي اشترى الأجهزة الإلكترونية قد لا يكون الرجل الذي يبحثون عنه ... ومعنى ذلك أنه هو ... «أحمد» ... الذي وضع «إلهام» في فم الأسد؛ لقد اشتبه في الرجل الأحمر وطلب من «إلهام» أن تتبعه ... ها هي تخرج منذ الصباح ولا تعود ... وقد يكون الرجل من عصابة لصوص لا يُهم رقم «صفر» أمرها. وأخذت سيارة «أحمد» السريعة تدور في بيروت ... وكلما وجد «أحمد» تجمُّعًا للسيارات توقَّف ونزل وأخذ يبحث عن الكاديلاك الخضراء.

ووصل به المطاف إلى كازينو لبنان ... أكبر كازينو من نوعه في منطقة الشرق الأوسط ... شمال بيروت على شاطئ البحر.

كان الكازينو مضاءً كالشعلة من النور فوق ربوة تدخل في البحر ... كأنه سفينة مبحرة في بحر هادئ.

ركن «أحمد» سيارته ونزل ... كانت بجوار الكازينو عشرات من السيارات من كل الأنواع، وأخذ يمشي بينها فاحصًا ... وفجأةً بدت الكاديلاك الخضراء التي يبحث عنها واقفة، وتوترت أعصاب «أحمد» وارتفعت دقَّات قلبه وهو يقترب من السيارة ... كان يخشى أن تكون عيناه مخدوعتين ... خاصةً في اللون ... ولكن السيارة كانت خضراء فعلًا، وكانت من طراز كاديلاك الضخم ... مقدمتها تشبه السيارة الرولزرويس ... وهو أحدث طراز في سيارات الكاديلاك ... والْتقط «أحمد» رقمها سريعًا، ثم نظر حوله بحثًا عن

السائق فلم يجِده ... ورجَّح أنه يجلس عند بوابة الكازينو أو في إحدى صالاته ... كان المهم الآن التأكُّد أن هذه السيارة للرجل ذي الوجه الأحمر.

واجتاز «أحمد» باب الكازينو الكبير وهو يحس بالعيون تُحاصره من كل جانب، وكان واضحًا أنه أصغر سنًّا من أن يدخل هذا المكان الذي يجمع أعظم نِمر الاستعراض في العالم ... حيث يتكلَّف العرض الراقص الواحد بضعة ملايين من الليرات ... وتأتي إليه أشهر فنانات الدنيا للرقص، كما يضم أكبر صالة للقمار ... حيث يأتي أصحاب الملايين من جميع أنحاء العالم للعب فيه ... وكثير منهم يأتي على طائرته الخاصة ... أو يخته الخاص، كما كان يفعل المليونير اليوناني أوناسيس صاحب اليخت كريستينا الشهير.

كان «أحمد» يُفكِّر في هذا كله وهو يدخل من باب الكازينو ... لا يدري أين سيجد ذا الوجه الأحمر ... هل في صالة الاستعراضات؟ أم في المطعم؟ أم في صالة القمار؟ أم لا يجده على الإطلاق!

ورغم النظرات التي كانت تفحصه جيدًا لكنه خطا بثبات إلى داخل الكازينو، وهو يدور بعينيه في المكان. كان يرجو أن يصل إلى «إلهام» قبل أن يُصيبها مكروه ... ولم تكن هناك وسيلة إلا العثور على ذي الوجه الأحمر.

العجلة تدور

وفي تلك الأثناء التي كان «أحمد» فيها يدور كالمجنون بحثًا عن «إلهام»، وفي نفس الوقت الذي دخل فيه كازينو لبنان الكبير ... كانت «إلهام» تُحاول استعادة وعيها وهي ملقاة على أرض غرفة حجرية في مكان لا تعرفه ... فتحت عينيها فرأت جدران الغرفة تدور بها ... وخُيِّل إليها أن السقف ينخفض، ويكاد يُطبق عليها؛ فأغلقت عينَيها، وهي تُحس أن رأسها ثقيل كالرصاص ... وأن الصداع يكاد يجعل عينَيها تقفزان من محجرَيهما.

ماذا حدث؟!

أخذت تتذكَّر ... وكانت ذكرياتها مضطربة ... فهي تريد أن تذكر البداية ... نعم ذلك الرجل ذو الوجه الأحمر يدخل صالة المبيعات قسم الإلكترونيات. خروجها خلفه ... هل تركت مذكرةً بخروجها ... إنها لا تتذكَّر بالضبط ولكن خرجت ... السيارة الكاديلاك الخضراء التي رأتها من الباب الزجاجي ... ركوبها سيارتها، ثم تتبع السيارة الكاديلاك ...

وضعت يدها على رأسها وأخذت تُركِّز انتباهها ... ماذا حدث بعد ذلك؟! إن الذكريات الآن أكثر وضوحًا ... لقد غادرت السيارة الكاديلاك بيروت مسرعة ... ثم صعدت الجبل، ومرَّت بعدة طرقات عامة ... ثم انحرفت وبدأت تدخل في طريق مُترَّب ... كان الطريق وعرًا ... و«إلهام» تحاول السيطرة على سيارتها ... وجاءت سيارة ثالثة خلفها وصدمتها صدمةً قوية ... وكادت سيارتها تهوي إلى قاع الجبل، فلم تستطِع السيطرة عليها إلا بصعوبة بالغة ... وفي اللحظات الأخيرة ... وعندما نزلت من السيارة بأعصاب ثائرة لترى هذا المجنون الذي صدمها ... فوجئت باثنَين ينزلان من السيارة التي صدمتها، وقد شهر كل منهما مُسدَّسًا ضخمًا في وجهها ... بينما كانت الكاديلاك الخضراء قد اختفت تمامًا.

واقترب أحد الرجلَين منها وقال بالإنجليزية: لقد كان خطأك يا آنسة. وجُن جنونها وهي تقول: أنا المخطئة؟!

ابتسم الرجل ببساطة وهو يقول: طبعًا ... ألم تقرأي أن هذا الطريق طريق خاص!

وقالت: وهل هذا يُبرِّر محاولة قتلي؟!

الرجل: لم يكن هناك حل آخر.

نظرت «إلهام» حولها ... كانت في مكان لم ترَه من قبلُ رغم أنها من لبنان، ورغم أنها زارت الجبل مئات المرات ... ولم يكن هناك صدًى لصوت واحد في الأفق ... كانوا ثلاثتهم منعزلين عن العالم ... وبدا واضحًا أنها وقعت في فخ محكم ... سيارتها معطلة ... والمسدس الذي معها موجود في تابلوه السيارة حيث لا تستطيع الوصول إليه ... والرجلان يبدوان في غاية القوة ... ومسدساهما يلمعان في ضوء الشمس، يحملان إليها رسالة الموت إذ هي حاولت الفرار.

وقرَّرت «إلهام» — كما تتذكَّر — أن تتظاهر بالسذاجة فقالت: ولماذا المسدسان؟

ابتسم الرجل عن أسنان صفراء قذرة وقال: لأننا سنطلب منك الركوب معنا!

إلهام: معكما! لماذا؟!

الرجل: بضعة أسئلة ثم نتركك.

إلهام: لماذا؟!

الرجل: لا داعي للأسئلة الآن يا آنسة.

إلهام: ولكن هذا اختطاف، وإنني سأُبلِّغ عنه القانون!

عاود الرجل الابتسام وقال: إنني أحترم القانون جدًّا يا آنستي ... ولكن لنا نحن أيضًا قانون خاص ستسمعين به بعد قليل.

وحاولت «إلهام» أن تطيل المحادثة ... ولكن الرجل كان حاسمًا، فقد اقترب منها ثم جذب ذراعها بعنف شديد ... وأركبها السيارة في المقعد الخلفي، ثم قال للرجل الآخر: هيا!

وتحرَّكت السيارة، وقال الرجل الجالس في الخلف: ادفع السيارة دفعةً صغيرة أخرى.

أحست «إلهام» بالألم يعتصر قلبها ... ولكن لم يكن أمامها ما تفعله ... وقاد الرجل السيارة حتى أصبحت خلف سيارة «إلهام» التي كانت تقف على حافة الهاوية ... ثم صدمها صدمةً بسيطة ... فخفَّت السيارة مندفعةً فوق سفح الجبل، وسمعت «إلهام» صوت عجلاتها وهي ترتطم بالصخور ... ثم وهي تنقلب ... ثم سمعت بعد لحظات صوتًا عاليًا رغم بُعد المسافة، لقد سقطت السيارة في قلب الهاوية ...

كانت «إلهام» ملتفتةً بكل حواسها إلى سيارتها العزيزة وهي تسقط إلى حيث لن تخرج مرةً أخرى بين الأشجار والأعشاب الكثيفة ... وفجأةً أحسَّت بألم سريع في كتفها ... وأدركت على الفور أنها حقنة قد غرسها الرجل في كتفها دون أن تُدرك.

وبعد لحظات شعرت «إلهام» بالغيبوبة. لقد كانت حقنةً مخدِّرة ... وقبل أن تغيب تمامًا عن وعيها ... تذكرت «أحمد» ... وتمنَّت أن تراه.

وفي نفس الوقت الذي استيقظت فيه، وأخذت تستردُّ وعيها في سجنها الحجري، كان «أحمد» يدخل كازينو لبنان ... ويتجوَّل مسرعًا بين الموائد باحثًا عن ذي الوجه الأحمر ... ولكن لم يكن في المطعم أو الكازينو رجل تنطبق عليه الأوصاف التي ذكرتها «إلهام» في رسالتها القصيرة.

ولم يبقَ إلَّا أن يدخل صالة القمار ... وكان يعلم أنه في سن لا تسمح له بالدخول حسب قوانين البلاد ... ومع ذلك ... شد قامته ثم اجتاز الباب، ولكن قبل أن يخطو خطوةً ثانيةً إلى داخل الكازينو، كانت عشرات الأيدي قد امتدَّت وأمسكت به، وقال الرجال: آسفون يا فتى ... ممنوع!

نظر «أحمد» إلى الرجال وأدرك أن أي محاولة للدخول محكوم عليها بالفشل ... فدار ببساطة وغادر المكان وأسرع إلى الكازينو واتجه إلى التليفون واتصل بالمقر السرِّي ... وردَّت عليه الست «بديعة» فقال لها: أريد «سرور» فورًا!

وبعد لحظات كان «سرور» يرد عليه، فقال «أحمد»: هل عاد «باسم»؟

سرور: لا لم يعُد حتى الآن.

أحمد: اكتب له مذكرة: «إنني في كازينو لبنان، والبس أنت ملابس السهرة، وهاتِ معك كميةً كبيرةً من النقود وتعالَ فورًا.»

سرور: هل أُحضر أسلحة؟

أحمد: بالطبع!

ثم وضع السمَّاعة وجلس يشرب كوبًا من الشاي، ويأكل علبة بسكويت؛ فقد أصابه الجوع.

مضت ساعة بطيئة ... وظهر «سرور» على عتبة باب الكازينو ... وأحس «أحمد» بالإعجاب عندما ظهر «سرور» بقوامه الفارع ووجهه الأسمر الهادئ يدخل مسرعًا ... وأشار له «أحمد» فاتجه «سرور» إليه، وقال «أحمد»: إنني أبحث عن رجل أحمر الوجه، أشقر الشعر ... أعسر يستخدم يده اليسرى ... لعله موجود في قاعة القمار.

سرور: وما هو المطلوب؟

أحمد: حاول أن تتعرَّف به إذا وجدته ... وأرسل لي ورقةً صغيرةً إذا وجدته.

سرور: هل هذا خاص بغياب «إلهام»؟

أحمد: نعم ... إنني أشتبه في أن له صلةً بغيابها.

شد «سرور» قامته ... وشاهده «أحمد» وهو يجتاز عتبة الكازينو ... وعندما دخل سرور إلى القاعة الواسعة ... أجال بصره بين الموجودين ... وجز على أسنانه عندما شاهد الرجل الأحمر يجلس إلى أحد موائد اللعب ... وبسرعة أخرج ورقةً وقلمًا وكتب رسالةً قصيرةً إلى «أحمد» بها كلمتان: «الأحمر موجود!»

ووصلت الرسالة إلى «أحمد» ... وأحس بالدماء تندفع إلى رأسه ... وتمنَّى لو استطاع الدخول إلى الصالة المغلقة التي لا يدخل فيها سوى الكبار ... وأن أطبق يديه على رقبة الرجل الأحمر وسأله بأعلى صوت: أين «إلهام»؟!

اتجه «سرور» إلى المائدة التي يجلس إليها الرجل ... وكانت مائدة رولييت ... وهي لعبة مشهورة تتكوَّن من عجلة لها ذراع تدور على مجموعة من الأرقام والألوان، ومن يضع مبلغًا من المال على رقم أو لون تقف عنده ذراع العجلة يكسب ... وابتسم «سرور» ... فقد كان دوره في المخابرات قد وضعه عشرات المرات أمام موائد اللعب ... وكان يعرف أسرار اللعبة جيدًا ... ومع ذلك قرَّر أن يقضي فترة المراقبة.

وعندما وقف أمام المائدة؛ أسرع أحد الموظفين بتقديم مقعد له ... ولكن «سرور» ابتسم قائلًا: ليس الآن ... بعد قليل.

كانت المجموعة التي تلعب مكونةً من أربعة رجال وسيدتين ... وكان أمام الرجل الأحمر كومة هائلة من فيشات اللعب ... كل فيشة منها تساوي ألف ليرة ... بعضها أقل قيمة. وبحسبة سريعة أدرك «سرور» أن ما أمام الرجل يبلغ نحو ٢٠٠ ألف ليرة.

كان على «سرور» أن يجد وسيلةً للتعرُّف إلى الرجل الأحمر ... ولم تكن هناك وسيلة أفضل من اللعب ... ووقف يراقب اللعب ... وكانت اللعبة تبدأ بمجرَّد أن يرفع مراقب اللعب الكرة العاجية البيضاء بيده اليمنى ... ويُدير العجلة بيده اليسرى، ثم يضع الكرة ويتكرها تدور في الدائرة ... وكان على اللاعبين أن يضعوا نقودهم قبل أن تقف الكرة ... ولاحظ «سرور» أن الرجل الأحمر لم يلعب هذا الشوط ... ومضت الكرة تدور وتدور ... وأخذت تُهدِّئ من سرعتها ثم توقَّفت نهائيًّا على رقم «٢٥» ... وكان من نصيب إحدى السيدتَين مبلغ ٢٠ ألف ليرة ... وانتقل «سرور» من مراقبة اللعب إلى مراقبة الرجل الأحمر ... وأخذ يرسمه في ذهنه ... الطول نحو ١٨٠ سنتيمترًا ... البشرة حمراء ... الشعر ذهبي ... العينان زرقاوان ... الأسنان طويلة ومندفعة إلى الأمام ... إحدى الأذنين مقطوعة ... وقد أُجريت بها عملية تجميل دقيقة لإعادتها إلى مكانها ... اليدان ضخمتان ... يُغطِّيهما

الشعر الكثيف ... يُدخِّن سجائر حاميةً من نوع «روثمان» ... واضح أنه مُسلَّح بأكثر من سلاح تحت ذراعه الأيسر ... وتحت الجاكتة عند الحزام.

وأدرك «سرور» أن الأحمر خصم يُعمل حسابه ... خاصةً وقد شاهد حوله حارسَين يحومان من بعيد ... وإن تظاهرا أنهما لا يعرفانه.

واكتفى «سرور» بهذه المراقبة وبقي أن يتعرَّف على الرجل ... فمد يده وأخرج رزمةً ضخمة من النقود، ثم اتجه إلى مكان الفيشات واشترى بالمبلغ كله ... ثم عاد واختار كرسيًّا مواجهًا للرجل الأحمر ... وقرَّر أن يقوم بحركة تلفت إليه الأنظار، فوضع ٥٠ ألف ليرة دفعةً واحدةً على اللون الأحمر، و٥٠ ألفًا أخرى على رقم «١٣» ... متفائلًا بعدد الشياطين الـ «١٣».

ونظر الرجل الأحمر إلى «سرور» ... كان وجهه ساكنًا تمامًا كأنما نُحت من الصخر، ثم وضع مبلغًا مماثلًا لما وضعه «سرور» ... على اللون الأسود ... وعلى رقم «٢٦»، وهو ضعف رقم «١٣» ... ولم يشترك بقية اللاعبين في هذه الدور؛ فقد بدا أن منافسةً رهيبةً سوف تبدأ ... ورفع المشرف الكرة وأدار العجلة، ثم أطلق الكرة تدور بين الألوان والأرقام.

الأسود يكسب

كان «أحمد» يجلس في الصالة الخارجية للكازينو ... ينظر إلى ساعته بين لحظة وأخرى ... وكانت الساعة قد اقتربت من منتصف الليل دون أن يظهر «سرور» أو يُرسل رسالةً أخرى ... وفكَّر «أحمد» أنه من غير المعقول أن يُمضي كل هذا الوقت بلا حركة ... وفكَّر قليلًا ثم قام إلى التليفون فاتصل بالمقر السرِّي وسمع صوت «باسم» على الطرف الآخر للخط ... وقال «باسم»: لقد عدت الآن ... لا أثر لـ «إلهام» في أي مكان ... ولا للرجل الأحمر.

أحمد: الرجل الأحمر هنا في الكازينو ... و«سرور» في صالة المقامرة ... وقد مضت ساعتان حتى الآن ولم يخرج ...

وفجأةً خطرت لـ «أحمد» فكرة فقال: اسمع يا «باسم». هات جهاز اللاسلكي الصغير من النوع المستخدم في الإرسال فقط ... ستجده ...

فقال «باسم»: أعرف مكان الأجهزة ...

أحمد: آسف ... إنني مضطرب قليلًا من أجل «إلهام» ... هاتِ الجهاز وتعالَ فورًا إلى الكازينو ... ستجد سيارة كاديلاك خضراء تحمل رقم «١١٥٣٧»، وخذ حذرك وركِّب الجهاز أسفل الرفرف ليُرسل لنا إشارات متقطعةً عن مكان السيارة، ثم أحضر جهاز استقبال صغير لنضعه في سيارتنا ... ثم تعالَ إلى الكازينو ...

باسم: سأكون عندك فورًا.

ووضع «أحمد» السمَّاعة وقد أحسَّ ببعض الارتياح؛ فقد وضع الرجل الأحمر بين قوسَي مراقبة دقيقة له حيثما ذهب.

عاد «أحمد» إلى مكانه في انتظار رسالة أخرى من «سرور» ... ولكن ساعةً أخرى مضت دون أن يُرسل «سرور» كلمةً واحدة ... ولكن دخل «باسم» بنظارته الصغيرة ونظر هنا وهناك، ثم اتجه إلى «أحمد» وجلس، ثم مال عليه وقال: كل شيء على ما يُرام.

ابتسم «أحمد» لأول مرة في هذا اليوم ... وقبل أن يتحدَّث إلى «باسم»، كان أحد الموظفين يتجه إليه برسالة ثانية من «سرور» ... كانت أطول من الأولى:

أكتب لك من دورة المياه ... الرجل خطير جدًّا ومُسلَّح جيدًا ... ومعه حارسان مُسلَّحان أيضًا. اسمه مثل شكله؛ «رِدْ روك» أو الصخرة الحمراء ... وهو صخري فعلًا ... لقد جعلته يخسر قدرًا كبيرًا من المال ... وأعتقد أننا عندما نخرج سيكون بيننا حديث ... وقد يكون هذا الحديث باللكمات والمسدسات ... ساعتي الآن الواحدة وخمس دقائق ... سأخرج بعد ٢٥ دقيقةً بالضبط ... فاستعد.

ناولَ «أحمد» الرسالة إلى «باسم» الذي قرأها ثم وضعها في جيبه.

وفي صالة المقامرة الرئيسية حيث كانت تدور المعركة الرهيبة بين الأحمر والأسود ... أو بين «رد روك» و«سرور» ... ترك عدد كبير من اللاعبين أماكنهم ووقفوا حول مائدة الروليت يشاهدون الصراع.

كان «رد روك» قد ازداد احمرارًا ... وسال عرقه وكشَّر عن أنيابه ... وكان «سرور» يرسم ابتسامةً هادئةً على وجهه رغم إحساسه بالنظرات النفاذة التي كان يوجِّهها إليه الحارسان وهما يشهدان زعيمهما يخسر أمام هذا الرجل الأسمر الباسم، الذي كان يُسيطر على اللعب وكأنه يُدير العملية كما يُريد ... رغم معرفة الجميع أن عجلة الروليت قد صُمِّمت تصميمًا ميكانيكيًّا دقيقًا، بحيث لا يستطيع أحد بما في ذلك المشرف عليها من السيطرة على حركتها مطلقًا.

وفي خمس دورات متتالية كان «سرور» يكسب ... ثم خسر الدورة السادسة ... وبدت مسحة من الرضا على وجه «رد روك» ... وتصوَّر أن الحظ قد تحوَّل إلى صالحه ... وبدأ يضع فيشاته وقد رفع قيمة الرهان ... ولكن «سرور» لم يمُد يده إلى فيشاته ليضعها على الدوائر والأرقام ... بل مد يديه معًا، وأخذ يُنظِّم الفيشات إلى فئاتها المختلفة، وعلى الفور عرف الجميع أنه سيتوقف عن اللعب. وساد الصمت المكان ولم تعُد تتردَّد سوى أنفاس الحاضرين ... ولاحظ «سرور» رغم أنه بدا مشغولًا بجمع الفيشات أن «رد روك» قد مد يده بحركة لا شعورية إلى جانبه ... وأدرك «سرور» أنه يضع يده على مسدسه ... وكان «سرور» متأكِّدًا أن «رد روك» مهما كان أحمق، فلا يُمكن أن يُغامر بإطلاق الرصاص عليه داخل الكازينو وأمام كل هؤلاء الناس ... ورغم هذا فإن «سرور» مال إلى الأمام ... ووضع يده في حزامه حيث كان يربض مسدسًا من طراز «لوجر» جاهز للإطلاق.

قال «رد روك»: ما زال الوقت متسعًا يا سيدي!

ردَّ «سرور» ببساطة: إنني مرتبط بموعد في الواحدة والنصف ... ولم تبقَ سوى دقائق قليلة على الموعد ... وأنا اعتدت أن أحترم مواعيدي.

ردَّ «رد روك»: ألم تتعلَّم أن تحترم من تلعب معهم؟

سرور: ليس بيننا ما يستدعي الاحترام أو الاحتقار يا سيدي ... لقد قرَّرت أن أتوقَّف عن اللعب وهذا حقي ... وفي إمكانك أن تستمر وحدك.

كانت الجملة الأخيرة إهانةً واضحةً للرجل الأحمر ... فأغمض عينَيه لحظةً خاطفةً ليخفي نظرة غدر وقال: أعتقد أننا سوف نلتقي مرةً أخرى يا سيدي.

وقام «سرور» دون أن يرد، فاستبدل الفيشات بنقود حشا بها جيبه ... ثم وقف أمام مرآة في جانب الصالة متظاهرًا بأنه يُصلح ثيابه ... ولكنه في الحقيقة كان يرقب ما يفعل «رد روك» ... وقد لاحظ على الفور أن الحارسَين قد اقتربا من الأحمر وإن كانا لم يتحدثا، فقد كان واضحًا أنه أصدر إليهما تعليماته. ولم يشك سرور لحظةً أن هذه التعليمات كانت خاصةً به.

نظر «سرور» إلى ساعته ... وكانت الواحدة والنصف إلا دقيقةً واحدة ... فغادر الصالة محاطًا بنظرات الجميع ... وخرج إلى الهواء الطلق، فأخذ نفَسًا عميقًا ... ثم اتجه إلى الكازينو ... ورأى «أحمد» و«باسم» يقفان، فغادر المكان في خطوات الرجل الواثق، وفي نفس الوقت كان ينظر جانبًا واستطاع أن يلمح الحارسَين المسلَّحَين وهما يتبعانه على مبعدة.

فكَّر «سرور» وهو يسير ... إنهما لن يُطلقا عليه الرصاص إلا مضطرَّين ... ولعلهما يحاولان السطو عليه بعد أن يبتعد عن الكازينو ... وكان الكازينو يقع على تلٍّ مرتفع يدخل إلى البحر ... وتُحيطه الجبال المزروعة من الجانبَين. وقدَّر «سرور» أن «أحمد» و«باسم» سيعرفان أن الحارسَين المسلَّحَين سيتبعانه ... وأنهما سيتدخَّلان في الوقت المناسب ... وهكذا سار خارجًا من الكازينو ... وبدلًا من أن يتجه إلى سيارته مباشرةً سار في اتجاه البحر، وشيئًا فشيئًا أخذت أضواء الكازينو تتلاشى ... ويسود ظلام خفيف، ولا تُبدِّده سوى المصابيح البعيدة. وكان «سرور» يُتيح للرجلَين مهاجمته ولم يتردَّدا ... فقد أسرع أحدهما على أطراف أصابعه مستترًا بالظلام حتى أصبح خلف «سرور» مباشرة، الذي وقف فوق الجبل المرتفع المطل على البحر كأنه يستمتع بهواء البحر ... وأحس بفُوَّهة المسدس الصلبة تلتصق بظهره وبمن يقول له: لا تلتفت.

وأخذ الرجل يضع يده في جيوب «سرور» ويُخرج رُزَم النقود ... ولكن ذلك لم يستمرَّ سوى لحظات ... فقد كان «أحمد» و«باسم» يراقبان ما يحدث على بعد ... وبإشارة سريعة

كان «باسم» يتجه كالقذيفة إلى حيث كان الرجل يضع مسدسه في ظهر «سرور»، بينما تكفَّل «أحمد» بالحارس الآخر.

وفي لحظة واحدة كان «أحمد» يقفز على الحارس المسلَّح ... و«باسم» يقفز على الحارس الآخر.

كانت مهمة «أحمد» إبعاد المسدس عن جسمه ... وفي نفس الوقت منع إطلاقه، فقد كان يُريد أن يمضي كل شيء في الخفاء لحين العثور على «إلهام» ... وعندما قفز على الحارس كانت يده اليمنى تُمسك بذراع الحارس اليمنى حيث المسدس ... وذراعه الثانية تُطوِّق رقبته ... ووضع ركبته في ظهره وجذبه إلى الخلف وطرقعت عظام الرجل، وصاح صيحةً داوية ... وأداره «أحمد» حول نفسه، ثم وجَّه إلى وجهه لكمةً هائلةً سقط الرجل على أثرها على الأرض.

أمَّا «باسم» ... فقد كان يخشى أن يُطلق الحارس النار على «سرور» ... فركَّز كل قوته في ضربة مفاجئة على رقبة الحارس الذي سقط على ركبتَيه ... وأسرع «باسم» يُطوِّح قدمه في ضربة بالحذاء أصابت ذراع الحارس وقذفت بالمسدس بعيدًا ...

ولكن هذا لم يُنهِ المعركة؛ لقد وقف الحارس بسرعة وأمسك بساق «باسم» الطائرة في الهواء ورفعها إلى أعلى ... وسقط «باسم» على الأرض واستجمع الحارس قوته ثم قفز عليه ... وكان «باسم» نائمًا على ظهره ... فلم يكن يرى جسد الحارس يتجه إليه كالقذيفة، حتى رفع قدمَيه إلى فوق ... ومدَّ ذراعَيه، وتلقَّى الحارس على أطرافه الأربعة ثم طوَّح به بعيدًا ... ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان؛ فقد كان «باسم» يرقد على طرف الجبل تمامًا ... وعندما اندفع إليه الحارس وطوَّحه؛ طار الحارس في الهواء وسقط من ارتفاع شاهق ... وبعد لحظات سمع «باسم» و«سرور» صوت جسمه وهو يرتطم بالأرض.

كان «سرور» سعيدًا بما يرى ... فهذه أول مرة يحضر فيها صراعًا من هذا النوع يكون طرفه الشياطين ... وقال في نفسه: لقد أدَّى الشابَّان دورهما ببراعة ومقدرة مذهلة ... فقد كان «أحمد» قد أوقف الحارس الآخر على قدمَيه ودفعه إلى الأمام في اتجاه «سرور» و«باسم».

قال «باسم»: آسف ... لقد طار الرجل أكثر ممَّا ينبغي ... ونزل أبعد ممَّا توقعت.

قال «أحمد» بسرعة: اذهب وأحضر إحدى السيارات ... واترك التي بها جهاز الاستقبال ... وخذ هذا الرجل معك ... واذهب مع «سرور».

باسم: إلى المقر؟!

أحمد: لا طبعًا ... إن «سرور» يعرف كيف يُسلِّم هذا الرجل إلى رقم «صفر» ... نريد منه أن يستجوبه ويحصل على كل المعلومات الممكنة.

باسم: وأنت؟

أحمد: سأنتظر خروج «رد روك».

وتمَّ كل شيء بسرعة ... وانطلقت السيارة تحمل «سرور» و«باسم» والأسير، بينما اتجه «أحمد» إلى مدخل الكازينو وربض في الظلام.

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية صباحًا ... وبدأ عدد من رُوَّاد الكازينو يغادرونه ... ومرَّت دقائق أخرى قبل أن يظهر «رد روك» ... وقف تحت الأضواء ينظر حوله في ضيق وقلق ... ولم يشكَّ أحد لحظةً أنه خرج يبحث عن الحارسَين، واضطُر «أحمد» إلى الابتسام ... فأحد الحارسَين يرقد على شاطئ البحر وقد فارق الحياة ... والثاني في طريقه إلى رقم «صفر» حيث يختفي إلى الأبد.

ظل «رد روك» ينتظر بضع دقائق ... ثم اتجه إلى موقف السيارات ... ومرةً أخرى توقَّف وأخذ ينظر حوله ... ولَمَّا لم يجد أحدًا ... اتجه لدهشة «أحمد» الشديدة إلى إحدى سيارات الأجرة وركبها وانطلق بها. وأسرع «أحمد» يقفز إلى سيارته ويتبع السيارة الأجرة. لقد استنتج على الفور أن مفاتيح الكاديلاك الخضراء مع أحد الحارسَين ... وأن «رد روك» لا يحمل مفاتيح إضافية ... وهكذا انهارت خطة «أحمد» في تتبُّع السيارة عن طريق جهازَي اللاسلكي.

مضت السيارة الأجرة مسرعة ... وتبعها «أحمد» على بُعد مناسب، ويُضيء كشَّافات سيارته إلا في المنحنيات حتى لا ينتبه «رد روك» إلى أنه يتبعه ... ومضت السيارتان تشقان طريقهما فوق الجبل في الظلام.

سلسلة من المفاجآت

كان «أحمد» راضيًا عمَّا تم حتى هذه اللحظة ... لقد تخلَّصوا من الحارسَين المسلَّحَين ... وأصبح أحدهم أسيرًا في يد رقم «صفر»، وسيحصل منه على كافة المعلومات اللازمة ... وها هو «أحمد» نفسه خلف «رد روك» ... أو الصخرة الحمراء ... ولكن ما كان يشغل باله هو ... «إلهام» ... هل كل ما فعله سيؤدي إلى إنقاذها ... أم يكون وراء أثر خاطئ ... وهل لـ «رد روك» علاقة بالقنبلة أم ليس له؟ كانت هذه الأسئلة تُلِح على ذهن «أحمد» ... عندما فوجئ بعد نصف ساعة تقريبًا من مغادرة الكازينو ومتابعة السيارة الأجرة ... أن هذه السيارة تدور دورةً واسعة، ثم تعود إلى اتجاهه مباشرةً وبسرعة غير عادية؛ توقَّع أحمد صدامًا وشيكًا ... وانحرف بسيارته يمينًا مبتعدًا عن طريق السيارة ... ونظر داخلها ... وكانت المفاجأة أن «رد روك» لم يكن فيها.

أدرك «أحمد» أنه كان ضحية خدعة ... وأن شرود ذهنه في التفكير بـ «إلهام» قد أعطى «رد روك» فرصةً ممتازةً للهرب منه ... ودار «أحمد» بسيارته دورةً واسعة، وانطلق خلف السيارة الأجرة. كانت سيارته سريعةً جدًا فلم تمضِ دقائق حتى كان يلحق بالسيارة ... ثم يتجاوزها، ويسير أمامها، ويُخرج يده للسائق ويُعطيه إشارات ضوئيةً يطلب منه الوقوف ... وتوقَّفت السيارة الأجرة، ونزل سائقها ثائرًا يُطوِّح بذراعيه ... واتَّجه إليه «أحمد» قائلًا: آسف جدًّا، ولكنني كنت أريد أن ألحق بك لأتحدَّث إلى الرجل الذي كان معك.

السائق: وماذا تريد الآن؟

أحمد: أين الرجل؟

السائق: لقد نزل منذ قليل.

أحمد: أين نزل؟

السائق: لا أدري ... لقد اختار مكانًا مهجورًا وطلب النزول عنده.

أحمد: ألم تكن هناك أضواء أو منازل قريبة؟
السائق: مطلقًا!
أحمد: أرجو أن تأتي لتريني المكان.
السائق: مستحيل!
أحمد: لماذا؟!
السائق: إنني عائد إلى منزلي ... فأنا أعمل طول النهار.
أحمد: سأدفع لك ما تشاء.
السائق: ولو دفعت مليون ليرة ... لن آتِ ...

فكَّر «أحمد» لحظات في هذا السائق المشاكس ... هل يُجبره على العودة معه ... لم يكن مُستعدًّا لهذا؛ فقد تُؤدي المشاجرة إلى مضاعفات ليس في حاجة إليها ... فقال «أحمد»: هل تشير لي على مكان نزوله؟

أشار السائق إلى قمة جبل قريب وقال: حول دائرة هذا الجبل ... ولم ينتظر السائق كلمةً أخرى، بل قفز إلى سيارته وانطلق مسرعًا.

أسرع «أحمد» إلى سيارته هو الآخر، وأضاء الأنوار وانطلق دائرًا حول الجبل ... محاوِلًا قدر الإمكان استنتاج مكان نزول «رد روك» حسب إشارة السائق، محاوِلًا البحث عن آثار وقوف السيارة ... وكانت أضواء سيارته القوية تكشف الجبل وما حوله ... وما تحته ... وكلما دار «أحمد» بالسيارة ... سقطت أضواؤها على مغارات الجبل فكشفت كل شيء ... وفجأةً سقط الضوء في إحدى الدورات على هاوية بعيدة ... خُيِّل لـ «أحمد» فجأةً أنه شاهد انعكاس جسم معدِني ... ودار دورةً أخرى وعاد إلى نفس المكان ... وأوقف السيارة وأخذ يرفع الضوء ويُخفضه حتى ثبَّته تمامًا على الجسم المعدِني ... فنزل «أحمد» وأخذ معه بطارية ... وأطلق ضوءها على المكان، ثم أخذ ينزل سفح الجبل خطوةً خطوة ... والأحجار والصخور تحت قدميه ...

وفجأةً سقط ضوء البطارية على شيء جعل الدم يكاد يجمد في عروقه ... كان الضوء قد سقط على جزء من الحاجز المعدِني لسيارة محطمة ... وعندما دار الضوء حول الحاجز ... تأكَّد «أحمد» أن السيارة المحطمة هي إحدى سيارات الشياطين ... وترك لقدمَيه العنان جاريًا إلى أسفل الجبل ... ووقف أمام السيارة مصعوقًا ... كانت سيارةً من سيارات الشياطين فعلًا ... وكانت حقيبة نسائية واقعةً بجوارها ... ولم يكن «أحمد» في حاجة إلى الْتقاطها ليعرف أنها حقيبة «إلهام» ... وانحنى «أحمد» على السيارة وقلبه يكاد يتوقَّف عن الخفقان ... فقد توقَّع أن يجد «إلهام» بين الحطام جثةً هامدة.

ولكن السيارة كانت خالية ... ودُهش «أحمد» لأنها لم تحترق ... وأخذ الحقيبة وجرَّد السيارة من كل ما يُمكن أن يدل على صاحبها، ثم صعد مسرعًا إلى قمة الجبل وقد أحس أنه قريب من مكان «إلهام».

أمسك بالبطارية وأخذ يفحص آثار انزلاق عجلات السيارة ... ووجد الآثار تقوده إلى مجموعة من الأشجار الملتفة ... استطاع أن يرى بينها ما يُشبه الباب السرِّي ... فدفعه بيده فانفتح ... ومضى يسير على طريق مُترَّب ... كانت أعصابه متوترةً للغاية ... ورأسه تفور بمختلِف الأفكار ... هل سيجد «إلهام»؟ وفجأةً وجد جسدًا ضخمًا يحط عليه كالصاعقة ... وأحسَّ أنفاسًا لاهثةً ساخنةً تلفح وجهه ... وبمخالب قويةً تُطبق على كتفَيه ... وأسنان شرسة تحاول قضم وجهه ... كان كلبًا من نوع الهاوند الضخم ... كانت المفاجأة كاملة ... وأخذ صوت الوحش المفترس يرن في أذنَي «أحمد» كأنه في غابة ... وكأن هاجمه نمر رهيب.

سقط «أحمد» والكلب يتدحرجان على الأرض ... وقبل أن يتمكَّن «أحمد» من إخراج مسدسه سمع صوت رجل يقول: كفى يا تيجر!

وانزاح الكلب وهو يُزمجر من على صدر «أحمد» ... وسقط ضوء البطارية القوية فأغشى عينَيه ... وسمع الرجل يقول: قِف بسرعة!

وقف «أحمد» وهو ما زال تحت تأثير الهجوم المفاجئ، وقال الرجل: اتجه إلى الأمام مباشرة!

ومشى «أحمد» دون أن يدري إلى أين ... كان يهبط تدريجيًّا داخل الجبل وسط أعشاب كثيفة، وصخور متناثرة ... وفجأةً انزاح جانب من الجبل فكشف عن باب لا يُمكن رؤيته، وظهرت أضواء بعيدة داخل كهف من الصخور، ولم يُصدِّق «أحمد» نفسه ... لقد كان المكان يُشبه الكهف السرِّي حيث مقر الشياطين الـ «١٣». ولولا ما حدث، وهجوم الكلب المتوحش عليه؛ لظن أنه يدخل الكهف.

ولم يكن «أحمد» يصل إلى دائرة الضوء حتى سمع صوتًا آخر يقول له: قِف مكانك!

وتوقَّف «أحمد» ... وظهر رجل رفيع يُمسك بندقيةً سريعة الطلقات ... وجرت يده بسرعة على جسم «أحمد» وجرَّده من كل ما يحمل ... إلَّا شيئًا واحدًا لم تصل إليه يد الرجل؛ سلاح صغير جدًّا مشدود إلى فخذ «أحمد» من الداخل.

ودفعه الرجل بخشونة إلى داخل غرفة حجرية ... وضمن مفاجآت الليلة العجيبة ... كانت قمة المفاجآت ... كانت «إلهام»!

نظر كلٌّ منهما إلى الآخر ... كان «أحمد» ممزَّق الثياب ... وقد بدت آثار مخالب الكلب على ذراعيه وكتفيه ... ووجهه قد غطَّاه التراب ... وكانت «إلهام» شاحبةً وهزيلة، لكن ما كان هامًّا في هذه اللحظة أنهما الْتقيا ... وأن «إلهام» ما زالت على قيد الحياة.

ووقفت «إلهام» ثواني قليلةً تُحدِّق في «أحمد» ... ثم اندفعت إليه، فتلقَّاها بين ذراعَيه وضمَّها إليه. وقال «أحمد»: لماذا أنتِ شاحبة؟

ردَّت «إلهام» بثبات: لا شيء.

أحمد: إن منظرك كمريض قضى في الفراش شهورًا!

إلهام: لقد تعرَّضت لألوان من التعذيب لأعترف.

ضغط «أحمد» على أسنانه وهو يقول: ماذا يريدون؟

إلهام: كالعادة ... لماذا نتتبَّعهم ... ما هي قيادتنا؟

أحمد: وماذا يعرفون عنا؟

إلهام: لا شيء طبعًا ... لم أقُل كلمةً واحدة!

أحمد: وماذا نعرف عنهم؟

إلهام: ليس كثيرًا، ولكن من الواضح أنهم يُخطِّطون لعملية ضخمة جدًّا، ولا مانع عندهم من ارتكاب أي جريمة للوصول إلى هدفهم!

أحمد: هل هي القنبلة؟

إلهام: لا أستطيع أن أؤكِّد ذلك ... ولكني رأيت صندوقًا فارغًا من صناديق الأجهزة الإلكترونية التي اشتُريت من عندنا ... معنى ذلك أن الأجهزة تُستخدم في هذا المكان.

قام «أحمد» يدور في الغرفة ... باحثًا عن نقطة ضعف، ولكن «إلهام» قالت له: لا تحاول ... لقد فحصت كل شبر فيها ... إنها تحت الأرض ... أو بالدقة تحت الجبل، والتهوية صناعية.

جلس «أحمد» بجوار «إلهام» على الأرض ... وأمسك بيدها، وأخذا ينظران أحدهما إلى الآخر، وطالت النظرات لحظات ... ثم قالت «إلهام»: ماذا حدث؟ ... كيف وصلت إلى هنا؟

أحد: كيف وصلت أنت أولًا؟

وروت «إلهام» لـ «أحمد» ما حدث لها، والصدفة التي أسقطت سيارتها في الهاوية، وكيف تم أسرها. وقال «أحمد»: نفس الصدفة تقريبًا. إنهم في غاية المهارة ولكن ...

وصمت «أحمد» لحظات، ثم مال على أذن «إلهام» وهمس: عندنا أسير منهم. إنه الآن عند رقم «صفر»، وأعتقد أنه سيحصل منه على المعلومات اللازمة، وقد تصل إلينا نجدة بين لحظة وأخرى.

إلهام: قد يكون الأسير عنيدًا.

أحمد: في هذه الحالة سنعتمد على حظنا ونحاول ...

ثم مال عليها مرةً أخرى وقال: معي سلاح دقيق ... ابتسمت «إلهام» وقالت: أعرفه.

وفُتح الباب في هذه اللحظة وظهر الرجل النحيل، ودون كلمة واحدة أشار إلى «أحمد» أن يتبعه، وخرج «أحمد» من الغرفة الحجرية، ومشى في دهليز طويل مُضاء، وتذكَّر كم من الدهاليز المماثلة قد مشى من قبل، ووصل إلى باب من الفولاذ السميك لم يكد الحارس يفتحه حتى ارتفع هدير مُحرِّك قوي، وازدادت قوة الضوء. ومضى الرجل وأمامه «أحمد» يمشيان عبر دهاليز صغيرة متقاطعة، ثم وقفا أمام مصعد صغير. وفتح الرجل الباب ودخل «أحمد» ... وأغلق باب المصعد دون أن يدخل الرجل، وتحرَّك المصعد إلى فوق. ومضت نحو دقيقة، ثم توقَّف المصعد وانفتح الباب أوتوماتيكيًّا، وخطا «أحمد» إلى غرفة واسعة بلا أبواب، ووجد نفسه مع «رد روك» وجهًا لوجه.

القنبلة

قال «رد روك» بسرعة: ليس عندي وقت أُضيِّعه ... فإذا كنت صريحًا معي فسوف نتفق بسرعة.

لم يرُدَّ «أحمد» فقال «رد روك»: هل لكما علاقة باختفاء الحارسَين المسلَّحَين؟

أحمد: نعم!

هزَّ «رد روك» رأسه وقال: وهذا الرجل الأسمر في قاعة الروليت أمس؟

أحمد: نعم!

رد روك: أشكرك لأنك واضح. والآن ما هي القيادة التي تتبعونها؟

أحمد: هذا السؤال لن تحصل على إجابة عليه أبدًا!

رد روك: لا بأس. هل يمكن إجراء مفاوضات بيني وبين هذه القيادة؟

أحمد: بشروط مُعيَّنة.

رد روك: ما هي الشروط؟

أحمد: الإفراج عن زميلتي فورًا!

رد روك: أوافق. سنفرج عنها. ولكن لي أنا الآخر شروط ...

ولَمَّا لم يرُدَّ «أحمد» مضى «روك» يقول: لا أريد أي محاولة لاقتحام هذا المكان ... ليس فقط لأنك ستبقى عندي ... ولكن ... وصمت «رد روك» ثم قال وهو يقف: تعالَ وانظر. واتَّجه «رد روك» إلى جانب الحجرة، ثم ضغط على زر في الحائط، فانفتحت نافذة صغيرة يُغطِّيها زجاج سميك. وأشار «رد روك» خارج النافذة ... ونظر «أحمد»، وشاهد أغرب منظرٍ رآه في حياته.

على ضوء القمر الشاحب الذي بدأ يُغطِّي الأفق ... وتحت أشجار كثيفة وعمليات بالأخشاب والقماش والبلاستيك ... كانت هناك قاعدة صغيرة لإطلاق الصواريخ — قاعدة حقيقية — من الأسمنت البرَّاق والفولاذ، وعليها صاروخ متوسِّط الحجم طوله نحو خمسة أمتار.

لم يُصدِّق «أحمد» عينَيه ... وقال «رد روك»: إن الصاروخ مُعدٌّ للانطلاق في أية لحظة أشاء ... كل ما أحتاجه هو الضغط على زر صغير فينطلق إلى حيث أريد ... إن مداه بعيد جدًّا، وأؤكد لك أنه يُمكن أن يُصيب عاصمةً عربية ... وما دمتم تعرفون من أنا ... ولماذا جئت إلى هذا المكان ... فأنتم تعرفون ماذا يحمل هذا الصاروخ على قمته!

لم يستطِع «أحمد» أن يمنع رعدةً قويةً سرت في بدنه ... هكذا ببساطة يكشف هذا الرجل عن أوراقه ... وببساطة أيضًا يتحدَّث عن القنبلة ... وكأنه يتحدَّث عن لعبة بسيطة ...

وأغلق «رد روك» النافذة ... ثم قال: أكثر من هذا ... وبواسطة الأجهزة الإلكترونية التي اشتريتها من زميلتك ... أصبح في إمكاني إطلاق هذا الصاروخ وأنا بعيد عنه بعشرات، بل بمئات الكيلومترات.

وجلس الرجل وأشار إلى «أحمد» بالجلوس وقال: والآن سأقول لك ما هي شروطي لتحملها صديقتك إلى قيادتكم!

قال «أحمد»: أريد أن أسألك أولًا: كيف وصلت كل هذه المعدات هنا؟

ردَّ الرجل متبسمًا: عن طريق البحر يا صديقي الصغير ... وتحت دعوى إنشاء مصنع للمواسير الصلب!

أحمد: وهل هنا الطالب الأمريكي الذي صنع القنبلة؟

ابتسم «رد روك» بفخر وقال: نعم ... إنه هنا منذ اختفى من أمريكا من بداية العام الماضي ... وقد أجبرناه على صنع القنبلة ... وانتهى منذ أسبوعين فقط من كل شيء!

أحمد: والآن ما هي شروطك؟

رد روك: بسيطة جدًّا ... مائة مليون من الجنيهات توضع في حساب خاص بأحد بنوك سويسرا ... ولا أعتقد أن المبلغ كبير ... فالدول العربية غنية وفي إمكان دولة واحدة من دول البترول أن تدفعه ببساطة.

وسكت «رد روك» قليلًا ثم قال: إنني أُمثِّل مجموعةً من العصابات القوية المنتشرة في مختلِف أنحاء العالم ... وهذا أضخم مشروع قمنا به سويًّا ... وقد اتفقنا على ألَّا نتراجع

مطلقًا ... وتأكَّد أن أي محاولة للعبث أو إشارة تدل على محاولة اقتحام المكان ستجعلني أطلق الصاروخ ... وستنفجر القنبلة ... وسيكون الدمار الذي تُحدثه وعدد الضحايا أكثر بكثير ممَّا تتصوَّر ... بالطبع يساوي المبلغ المطلوب وأكثر بكثير ...

كان «أحمد» يستمع وكأنه في حلم ... صاروخ يحمل رأسًا نوويًّا في قلب جبل لبنان ... من الذي كان يتصوَّر أن هذا يُمكن أن يحدث؟! إنه أكثر من المستحيل!

وفي نفس الوقت كان يُفكِّر كيف يُمكن أن يتم هذا الاتفاق ... وكيف سيتصرَّف رقم «صفر» ... لقد دبَّر «رد روك» وأعوانه العملية بمهارة فائقة ... وهما في هذا المكان لا يمكن اكتشافهما ... وهو «رد روك» في مركز قوة فعلًا ... إن خطوةً واحدة ... وضغطةً صغيرةً تُطلق الصاروخ الرهيب ... ولا يستطيع أحد التكهُّن بما يُمكن أن يُحدثه حيث يسقط ... في بيروت ... أو دمشق ... أو بغداد ... أو القاهرة ... أو عاصمة عربية.

تنبَّه «أحمد» من أفكاره، عندما سمع «رد روك» يقول له: وهناك مسألة هامة جدًّا ... إن أمنيتي الشخصية هي أحد بنود الاتفاق ... بمعنى أنني يجب أن أغادر لبنان سليمًا معافًى ... وسوف يكون معي جهاز التفجير اللاسلكي ...

قال «أحمد»: وما هي الضمانات بأنك لن تُفجِّر القنبلة رغم ذلك؟

ردَّ «رد روك»: ستكون أنت معي ... أو أي شخص آخر ... وسأسلِّمه جهاز التفجير بمجرَّد مغادرة الطائرة لبنان، وبالطبع فإنني رجل يتمسَّك بكلمته. وما دمتم ستنفِّذون شروطي فسوف أحترم وعدي لكم.

أحمد: على كل حال لست أملك حق المفاوضة مع الحكومات العربية في هذا الموضوع الخطير، وكل ما يُمكنني أن أعدك به أن تصل شروطك كاملةً إلى الجهات المسئولة بمجرَّد الإفراج عن «إلهام».

ابتسم «رد روك» ابتسامةً ظافرةً وقال: بالمناسبة ... هذه الفتاة مدهشة ... لقد تعرَّضت لشتَّى أنواع التجارب الكيميائية والبدنية للاعتراف، ولكنها ظلت على رفضها.

كتم «أحمد» غيظه وقال: هل ستُفرج عنها الآن؟

رد روك: طبعًا. وسأكتب لك الشروط، فعُد إليها لتستعد لحمل الرسالة ...

وضغط «رد روك» على زر بجواره ففتح له باب المصعد، وبعد دقائق كان «أحمد» مع «إلهام» في سجنها الحجري ... وروى لها بسرعة كل ما سمعه، وكانت عينا «إلهام» تعكس مدى دهشتها لهذه المعلومات التي تفوق الخيال، ثم مال «أحمد» على أذن «إلهام» وقال: اطلبي من رقم «صفر» أن يطلب مهلةً طويلةً حتى نتمكَّن من التصرُّف.

إلهام: ولكن أنت هنا وقد ...

ولم يتركها «أحمد» تُكمل جملتها وقال: ليس هذا مهمًّا ... إن عملنا هو المخاطرة والموت ضمن عملنا أيضًا.

سكت «أحمد» لحظات ثم قال: اطلبي عودة عدد من الشياطين فورًا، وفي نفس الوقت حاولي تحديد المكان ... إنه كما أتصوَّر على بعد نصف ساعة شمالًا من اتجاه كازينو لبنان، في دائرةٍ نصف قطرها حوالَي ٥ كيلومترات ... وعندنا في قسم الإلكترونيات أجهزة يُمكن أن تُعطي إشارات عن مكان وجود إشعاعات ذرية، وإذا لم يكن موجودًا فاطلبي من رقم «صفر».

إلهام: هل نحاول اقتحام المكان؟

أحمد: لا مطلقًا! ... حدِّدوا المكان فقط وابقوا قريبًا، وقد أستطيع الاتصال بكم.

ودقَّ الباب وخرج «أحمد» و«إلهام» إلى مقابلة «رد روك» الذي أوضح لها كيفيَّة الرد عليه بإعلانٍ في إحدى الصحف ... وسلَّم «إلهام» رسالةً بها شروطه، ثم وضع على عينَيها شريطًا لاصقًا، وانطلق بها أحد الرجال. وكان الفجر قد وضح وأحس «أحمد» بهذا اليوم الطويل الذي بدأ في مصر وانتهى في هذا المكان ... إنه متعب جدًّا ... فأغمض عينَيه وهو جالس على كرسيه فقال «رد روك»: سنُجهِّز لك مكانًا للراحة.

واقتيد «أحمد» إلى غرفة فاخرة، فدخل دورة المياه فاغتسل وأزال آثار الصراع بينه وبين الكلب، ثم استلقى على فراشه، وسريعًا ما ذهب في ثبات عميق.

عندما وصلت «إلهام» إلى المقر السري أسرعت رغم تعبها الشديد إلى غرفة اللاسلكي، وأرسلت إلى رقم «صفر» تقريرًا مُطوَّلًا عن كل الأحداث التي مرَّت بها حتى وصول «أحمد»، وشروط «رد روك»، وقصة القنبلة الذرية المركبة على الصاروخ. وأنهت تقريرها بقولها: وقد طلب مني «أحمد» أن أرجوك أن تطلب مهلةً طويلةً نوعًا حتى نتمكَّن من عمل شيء ... وسوف أرسل إلى عدد من الشياطين بالحضور فورًا إلى بيروت. وأرجو إرسال جهاز للكشف عن الإشعاعات الذرية لعلنا نستطيع بواسطته تحديد مكان الصاروخ ... ولم يكن «رد روك» قد اتخذ احتياطاته لمنع تسرُّب الإشعاع.

وبعد أن انتهت «إلهام» من تقريرها التفتتْ إلى «باسم» الذي كان يقف بجوارها وقالت: سأنام يا «باسم». أرجو أن ترسل برقيات إلى «بو عمير» و«عثمان» و«فهد» و«خالد» بالحضور فورًا ... وكُن قريبًا من جهاز اللاسلكي لتلقِّي رد رقم «صفر».

وقامت «إلهام» إلى دورة المياه فأخذتْ حمَّامًا ساخنًا وتناولتْ إفطارها تحت رعاية السيدة «بديعة» ... وعم «سرور»، ثم أسرعت إلى فراشها واستلقتْ عليه ونامتْ نومًا عميقًا.

وعندما استيقظ «أحمد» نظر في ساعته ... كانت قد بلغت الواحدة بعد الظهر، ومعنى ذلك أنه نام نحو سبع ساعات متصلة ... وأحسَّ بنشاطه يتجدَّد، وبأعصابه أكثر هدوءًا، وجوعٍ يعصف بمعدته ... ووقف في الغرفة التي وضعوه بها؛ كانت مفروشةً فرشًا حديثًا أنيقًا ... وبجوار الفراش كان هناك تليفون داخلي. رفع «أحمد» سمَّاعته، وعندما رد عليه الطرف الآخر قال: أريد إفطارًا من فضلك.

ردَّ الرجل: سنسأل «رد روك» أولًا!

ولم تمضِ نصف ساعة حتى كان أمام «أحمد» إفطار شهي ... وإبريق من الشاي الساخن. كان في أشد الحاجة إليه ... ونسي «أحمد» كل شيء وأقبل على الطعام بشراهة ... وعندما امتلأتْ معدته ... ووضع كوب الشاي على فمه ... حدثت مفاجأة أخرى مثيرة ضمن سلسلة المفاجآت المتلاحقة التي حفلت بها هذه المغامرة.

فُتح الباب وأطل وجه شاب لطيف لم يكد «أحمد» يراه حتى كاد كوب الشاي يسقط من يده ... فلم يكن الشاب إلَّا العالم الصغير الذي صنع القنبلة الذرية على شاشات التليفزيون الأمريكي ... الشاب الذي قرأ الشياطين أوصافه كما جاءت في النشرة التي وزَّعها عليهم رقم «صفر» في المقر السرِّي.

محاولة مستميتة

كان الشاب الأمريكي أصغر ممَّا توقَّع «أحمد» بكثير ... وكان يبدو مُجهَدًا وشاحبًا كأنه خارج من قبر ... وبدا واضحًا أن شحوبه يعود إلى سجنه الطويل بعيدًا عن الشمس.

ومد «أحمد» يدًا له مُرحِّبًا ... وجلس الشاب بعد أن سلَّم على «أحمد» وقال: لقد سمعت من «رد روك» بوجودك.

قال «أحمد» وهو يصب له فنجانًا من الشاي: وأنا أيضًا علمت بوجودك ... كيف خطفوك؟ ... ابتسم الشاب ابتسامةً متعبةً وقال: إنها قصة طويلة ... ولكن العصابات الأمريكية تستطيع أن تخطف أي شخص ... ولعلك تقرأ عن حوادث خطف أصحاب الملايين أو أبنائهم.

أحمد: وكيف أخرجوك من الولايات المتحدة؟

الشاب: عن طريق كندا في ملابس قسيس وبأوراق مُزيَّفة. طبعًا بعد أن قام ماكيير ماهر بتغيير ملامحي ولون شعري إلى آخره.

أحمد: وهل أتممت صنع القنبلة الذرية حقًّا؟!

الشاب: نعم.

أحمد: وكيف تفعل ذلك وأنت تعرف ماذا تريد العصابة بها؟!

الشاب: حتى الآن لا أعرف ... ولكني استنتجت طبعًا أن العصابة سوف تستخدمها للتهديد والابتزاز.

أحمد: ولماذا لم تمتنع عن العمل؟

الشاب: لأن والدتي ووالدي وإخوتي مهدَّدون بالموت ... وقد أحضروا لي تسجيلات بأصواتهم فهمت منها ما حدث لهم ... ولم يكن في إمكاني إلَّا أن أفعل ما فعلت.

ساد الصمت لحظات وتناول الشاب فنجان الشاي، وأخذ يرشف منه في هدوء ...

أحمد: هل يسمحون لك بالتجوُّل؟

الشاب: نعم ... ولكن هناك حارس دائمًا خلفي ... وهو يقف الآن أمام الباب!

أحسَّ «أحمد» بميل نحو الشاب فقال: ما اسمك؟

ردَّ الشاب: ممنوع أن أقول اسمي لأحد ... ولكن ممكن أن تناديني «مارلون»، فقد اعتادت أمي أن تناديني به.

أحمد: ماذا تتوقَّع بعد ذلك؟

الشاب: لا شيء سوى أن أعود إلى بلادي ... إن رِد وعدني أن نرحل بعد أيام قليلة!

وما إن انتهى الشاب من فنجان الشاي حتى قام وهو يقول: إنني أنزل بالغرفة رقم «٣»، وتستطيع أن تزورني في أي وقت.

وتصافحا ... وانصرف الشاب ... وجلس «أحمد» في مكانه يُفكِّر ... إن القنبلة جاهزة فعلًا للإطلاق ... ولن يكون أمام رقم «صفر» والحكومات العربية إلا دفع المبلغ الضخم ... ونظر حوله ... كانت الغرفة كلها منحوتةً في الصخر ... وليس بها إلَّا مخرج واحد هو الباب. ووقف في هدوء ثم اختبر الباب ... وتأكَّد على الفور أنه في إمكانه فتحه ... فالسلاح الدقيق الذي يُخفيه معه بعض الأدوات الدقيقة التي يُمكن أن تفتح أي باب ... ولكنه لم يُفكِّر أن يفتح الباب الآن ... لقد قرَّر أن ينتظر حتى يهبط الظلام ... وهو يعرف أن رقم «صفر» لن يرد قبل الساعة العاشرة ليلًا حسب الاتفاق ... سيتصل بـ «إلهام» ... بكازينو لبنان ... وتسأل عن «دراكسي» وهو أحد أعوان «رد روك» ... ثم تعود «إلهام» و«دراكسي» بالرد إلى مقر العصابة السرِّي في بطن الجبل.

تمدَّد «أحمد» إلى فراشه وأخذ يُفكِّر في جغرافية المكان ... الدخول لا يعرفه ... فقد كان الوقت ليلًا وقد ربطوا عينَيه ... ثم فتحها في الدهليز الصخري ... وعند تقاطع الدهليز الرئيسي مع دهليز فرعي ركب المصعد ... واستغرق المصعد إلى مكتب «رد روك» نحو دقيقة ... أي أنه على ارتفاع نحو عشرة أمتار ... وفي غرفة «روك» بابان ... لا بد أن أحدهما يؤدي إلى غرفة نومه ... والثاني إلى غرفة التحكُّم في جهاز إطلاق الصاروخ ... ومضى «أحمد» يُفكِّر ويرسم ويُخطِّط وهو مستلقٍ على سريره ... وغلبه النعاس مرةً أخرى فنام ... وعندما استيقظ وجد الساعة قد تجاوزت السابعة مساءً ... وأحسَّ بكل خلية في جسمه تضج بالنشاط والحيوية، وأنه على استعداد للإقدام على أية مغامرة ... المهم أن يتصرَّف بالعقل.

وقام إلى الباب وحاول فتحه ولكن الباب كان مغلقًا ... فدقَّ عليه ... وسرعان ما ظهر حارس خلف الباب وفتحه، ثم خرج «أحمد» قائلًا: أريد أن أتجوَّل قليلًا في المكان؛ فقد تيبَّستْ عظامي.

ولم يرُدَّ الحارس ولكن مضى خلف «أحمد» يتبعه خطوةً خطوة ... ومشى «أحمد» يتفرَّج على هذه القلعة الحصينة من الداخل ... كانت في الواقع هندسيةً لم يملك نفسه من الإعجاب بها؛ كانت كل الأبواب من الصلب القوي بحيث يصعب تمامًا فتحها ... والصالة الرئيسية مستديرة تتفرَّع منها الدهاليز إلى مختلِف أنحاء المكان ... وعلى مدخل كل دهليز أرقام الغرف التي به ... وعرف أن غرفة «مارلون» في الدهليز رقم «٢» ... ثم قرأ على أحد الدهاليز كلمة «جيروسكوب» ... ممنوع الاقتراب.

أخذ «أحمد» يتذكَّر المعلومات التي درسها في المقر من الأجهزة الإلكترونية وغيرها من أدوات الحركة والمقاس ... إن «جيروسكوب» تعني جهاز ضبط الاتجاه ... فإلى أي مكان وجَّه «رد روك» القنبلة؟

ولم يتوقف كثيرًا أمام المكان حتى لا يلفت الحارس نظره ... بل عاد بعد ذلك إلى غرفته ... وبعد قليل وصلته وجبة العشاء فتعشَّى ... ونظر إلى ساعته ... كانت التاسعة وقد بقيتْ ساعة لتعود «إلهام» بالرد مع «دراكسي» ... فهل رتَّبت «إلهام» أي خطة لمعرفة المكان أو اقتحامه ... هل وصل بعض الشياطين إلى لبنان؟! ماذا يفعل رقم «صفر»؟

كانت الساعة الباقية كأنها سنة، و«أحمد» يتصوَّر كيف تعود «إلهام» ... وماذا تحمل معها ... ولم تكن الساعة تصل العاشرة حتى قفز من مكانه وفتح الباب سريعًا، ثم انطلق في الممرَّات إلى غرفة «رد روك» ... ووجده يجلس وحيدًا يُدخِّن في انتظار حضور «إلهام» ... ولم يتحدَّثا ... لقد كان كلٌّ منهما ينتظر الرد ... ومضى نصف ساعة، ثم وصلت «إلهام» تحمل مظروفًا صغيرًا ... دفعت به إلى «رد روك» ... ولم يكد الرجل يقرأ ما في المظروف حتى لمعت عيناه ... وانحدرت قطرة عرق مسرعة على جبهته ... وبدا وجهه مُربدًّا كأنه احترق ... وقال بصوت مختنق: هذا ليس ردًّا ... إنه محاولة للتسويف!

كان «أحمد» يجلس هادئًا وقد أمسك بيد «إلهام» فسأل «رد روك»: ماذا في الرد؟

دفع «رد روك» بالرسالة إلى «أحمد» الذي قرأ ما فيها ... كان سطرًا واحدًا: «لا أستطيع أن أضمن أي شيء ... سأتصل بالحكومات المعنية ...»

قال «أحمد»: هذا هو الرد الوحيد المنطقي ... إن قيادتنا لا تملك التصرُّف في أي شيء.

صاح «رد روك» ولعابه يسيل من فمه في غضب شديد: ومتى يتم الاتصال؟ ... ومتى يرد؟ إن هذا كلام فارغ ... بعد أن عرَّضت نفسي للمخاطر! وأشار بيده إشارةً غاضبة، فقام الحُرَّاس بجذب «إلهام» و«أحمد»، وسرعان ما ألقوا بهما في حجرتهما ... ثم قيَّداهما.

كانت الأحداث سريعةً حتى أذهلت «أحمد» لحظات ... فلم يستردَّ أنفاسه إلا بعد أن وجد «إلهام» تنظر إليه وتبتسم ... ثم أخذت تزحف لتقترب منه وتقول: وصل «عثمان» و«بو عمير» و«فهد» و«زبيدة» ... وأعتقد أنهم قريبون جدًّا منا ... لقد وصفت لهم بقدر الإمكان حدود المكان ... ومعهم جهاز «جيجر» الذي يمكن أن يدلَّهم على المكان إذا كانت هناك أقل كمية نشيطة من الإشعاع.

قال «أحمد»: سنعمل بسرعة ... ولن ننتظر معونةً من الخارج!

إلهام: كيف؟!

أحمد: هناك سلاح على جانب ساقي اليمنى من الداخل ... حاولي الوصول إليه.

أخذت «إلهام» تهتز وتتلوَّى في محاولة مستميتة للاقتراب من ساق «أحمد» ... وكانت يداها مقيدتَين خلف ظهرها، وأخذت أصابعها تعمل في محاولة لرفع ساق البنطلون ... كانت المسألة بالغة الصعوبة ... وفي النهاية وجدت أنها غير ممكنة ... وقالت: من الأفضل تمزيق القماش.

ومرةً أخرى أخذا يتلوَّيان في اتجاهات مختلفة ... ولكن قماش البنطلون كان سميكًا وقويًّا ... ولم يعد هناك بُدٌّ من استخدام أسنانها في تمزيقه ... وبعد لحظات كانت قد شقَّت البنطلون ... ثم مدَّت أصابعها واستطاعت الوصول إلى السلاح، وجذبته. كان أنبوبةً من الصلب ... تكون مسدَّسًا صغيرًا ومجموعةً من الأدوات الدقيقة ... وبإحدى هذه الأدوات استطاعت «إلهام» أن تقطع قيود «أحمد» ... وبعد لحظات كان «أحمد» قد خلَّص «إلهام» من قيودها.

أسرع «أحمد» إلى الباب فوضع أذنه عليه، وأخذ يتصنَّت بعمق، ثم مال على «إلهام» وقال: أعتقد أن القاعدة نامت ... ولكن سننتظر نصف ساعة أخرى.

وسكت «أحمد» لحظات ثم سأل: هل تلقَّيت تقارير من رقم «صفر»؟

إلهام: نعم ... إنه مندهش أشد الدهشة ... وهو على اتصال بكل الجهات المعنية، كما أن مجموعة عمل من رجاله قد بدأت البحث هي الأخرى في نفس المنطقة ... كما أن هناك مجموعة طائرات استكشاف تمر فوق الجبال وتقوم بتصوير المكان!

أحمد: لا بأس ... ولكن سنحاول نحن ...

إلهام: الهروب من المكان!

أحمد: لا.

ومضت النصف ساعة في حديث هامس عن خطوات العمل القادم ... ثم قام «أحمد» مرةً أخرى إلى الباب ... وبدأت أدواته الدقيقة تعمل ... ولم تمضِ ثوانٍ قليلة حتى كان الباب قد فُتح ...

قالت «إلهام»: سيكتشفون في أية لحظة أننا هربنا!

أحمد: هذا ما أريده بالضبط ... إنني أريدهم أن يرتبكوا.

وفتح «أحمد» الباب ... وأطل خارجًا ... وفي لحظة هوت على رأسه ضربة قاسية ترنَّح على أثرها وسقط ... وبدا رجل في فتحة الباب ... ولم يكن أمام «إلهام» إلَّا شيء واحد ... اندفعت بكل قوتها في ضربة قاتلة بقدمها في بطن الرجل ... وبينما كان يترنَّح إلى الأمام وضعت قبضتها معًا في ضربة على عنقه، فارتطم وجهه بالأرض الصخرية وغاب وعيه.

شدَّت «إلهام» «أحمد» إلى داخل الغرفة ثم أغلقت الباب بهدوء، وأسرعت إلى دورة المياه الصغيرة وعادت بالمنشفة المبلَّلة بالماء، وأخذت تُدلِّك وجه «أحمد»، وبعد لحظات فتح عينَيه ... ثم مدَّ يده يتحسَّس أثر الضربة على رأسه.

وأشارت «إلهام» إلى الرجل الممدَّد ... وبدت الدهشة على وجه «أحمد»، ثم أخذ يزحف حتى وصل إلى الرجل ... وبدأ يُفتِّش ... مسدس ... مجموعة من المفاتيح ... فرح بها «أحمد» كثيرًا.

وربط الرجلَ ببقايا الحبال التي كانا مربوطَين بها، ثم سحباه إلى دورة المياه وأُغلق الباب ... ومرةً أخرى اتجه إلى الصالة الرئيسية ... أسرع «أحمد» إلى الدهليز رقم «٢» وخلفه «إلهام» تحمل مسدس الحارس الصريع ... ثم اتجه «أحمد» إلى غرفة «الجيروسكوب» ... وجرَّب المفاتيح التي كانت مع الحارس، وسرعان ما انفتح الباب وتقدَّم «أحمد» من الجهاز ... وفي هذه اللحظة سمع «أحمد» و«إلهام» صوت أقدام تقترب من باب الغرفة، ورفعت «إلهام» المسدس ... ولكن «أحمد» أشار لها أن تنتظر ... واختفيا معًا خلف الباب. أطل وجه من الباب ... ورفعت «إلهام» مسدَّسها بسرعة لتهوي به عليه ... ولكن منع يدها ... لقد كان «مارلون» عالم الذرة الشاب.

صاروخ الليل

جذب «أحمد» الشاب الأمريكي وأغلق الباب، ثم وضع يده على فمه وقال له: هل أنت على استعداد للفرار؟

كان الموقف مذهلًا بالنسبة لـ «مارلون» ... ففتح عينَيه في دهشة، وكان «أحمد» قد وضع يده على فمه فقال: ماذا أتى بكما إلى هنا؟

أحمد: لقد استطعنا الفرار ... ونريد أن نُطلق الصاروخ ...

مارلون: ذلك مستحيل؛ فهناك حُرَّاس حول الصاروخ ليل نهار، وأي محاولة للاقتراب منه ستنطلق النيران إليك أوتوماتيكيًّا.

أحمد: هل هناك وسيلة للخروج من هذه الغرفة إلى الخارج؟

مارلون: من السطح ... هناك فتحة تهوية تصل إلى قمة الجبل.

أحمد: هل لو ضَمِنَّا لك حياتك تتعاون معنا؟

تردَّد «مارلون» لحظات فقال «أحمد»: لا تنسَ أن ربع مليون شخص يُمكن أن يُقتلوا بهذه القنبلة التي صنعتها ... إن مسئوليتك على هذا لا تقل عن مسئولية «رد روك» ...

قال «مارلون»: ما هو المطلوب مني؟

أحمد: إذا تحرَّجت الأمور ولم أستطِع الوصول مع بقية الأصدقاء لإنقاذك، فإنني أرجوك أن تُحوِّل مسار الصاروخ إلى البحر حيث يسقط في وسط البحر المتوسط.

مارلون: أعد بذلك.

إلهام: وسأبقى معك.

التفت إليها «أحمد» فقالت: لو تركناه قد يضعف.

وافق «أحمد»، ثم نظر إلى فتحة التهوية ... كانت أنبوبةً من الأسمنت تصل إلى قمة الجبل ... وفي نهايتها شبكة من الحديد وعليها بعض الأعشاب للتمويه ... وطلب «أحمد»

من «مارلون» أن يقف تحت الأنبوبة مباشرة ... ثم صعِد على كتفَيه وأمسك بطرف الماسورة من الداخل وبدأ يتسلَّق ... كانت مهمةً صعبة؛ فلم تكن هناك نتوءات كافية ... وأخذ يتشبَّث بكل بروز في الماسورة، ثم مدَّ يده وخلع حذاءه ... وجوربه ... وأخذ يستخدم أصابعه ... وكانت الآلام التي يحس بها لا تُطاق ... فقد كان ينزلق أحيانًا ويكاد يسقط، ولكنه كان يستعيد توازنه في كل مرة ... وشيئًا فشيئًا بدأ يقترب من قمة الجبل، وأخيرًا وصل إلى الفُوَّهة وهو يلهث ... ولم يكد يصل إلى القمة ويجلس عليها حتى أخذ نفسًا عميقًا وأخذ يفرك أصابع قدمَيه الداميتَين ... أجال «أحمد» البصر حوله، كان فوق الجبل تمامًا ... والظلام كثيف ... ولا يضيء الأرض إلا أنوار النجوم البعيدة.

ملأ «أحمد» رئتَيه بالهواء، ثم أطلق صيحة الوطواط ... الصيحة التي يعرفها الشياطين جميعًا ... وأنصت «أحمد» وقلبه يخفق، ومن بعيد جاءت صيحة الوطواط، وأحس «أحمد» بالفرحة تغمره ... إن الشياطين قريبون ... وعاود إطلاق الصيحة ليُحدد مكانه ... وأخذت الصيحات تقترب منه. ولم تمضِ سوى دقائق حتى كان «عثمان» و«بو عمير» و«فهد» و«زبيدة» يُحيطون به ...

قال «أحمد» بسرعة: ليس هناك وقت للشرح ... إن «إلهام» مُعرَّضة لخطر شديد ... ويجب أن نتدخَّل فورًا!

وسكت لحظةً واستجمع أنفاسه ثم قال: هل معكم حبال؟

ردَّ «عثمان»: طبعًا ... فلم تصلح الحركة في الجبل بدونها.

أحمد: عظيم ... اربطوا حبلًا ندليه من فُوَّهة أنبوبة التهوية ... ثم ننزل عليه واحدًا بعد الآخر.

وأسرع «عثمان» يربط طرف الحبل بصخرة قوية، ثم ألقى «أحمد» بالحبل من الفُوَّهة وبدأ «فهد» بالنزول ... ثم تبعه «أحمد» ... و«عثمان» ... و«زبيدة» ... وبعد دقائق قليلة كانت غرفة «الجيروسكوب» قد ازدحمت بالشياطين ... وكان «مارلون» ينظر في دهشة إلى هؤلاء الشبان الذين يُلقون بأنفسهم في عرين الأسد.

أحمد: والآن يا «مارلون» ... هل ستحاول «الجيروسكوب»؟

لم يتردَّد «مارلون» هذه المرة وقال: لا بأس مهما كانت النتائج.

أحمد: حوِّل مسار الصاروخ إلى وسط البحر المتوسط، ثم عُد إلى غرفتك فورًا وكأنك لا تعلم شيئًا.

وتقدَّم «مارلون» من جهاز «الجيروسكوب» وأخذ يُدير مؤشِّراته يمينًا ويسارًا ثم قال: هل تعرف ماذا طلب مني «رد روك» بعد عودة صديقتك؟ لقد طلب مني ضبط «الجيروسكوب» على مدينة القاهرة!

قال «أحمد»: إنه مجنون وسيدفع ثمن جنونه.

انتهى «مارلون» من عمله وتمنَّى للشياطين التوفيق، ثم انسحب مُسرعًا إلى غرفته ... وبعد دقائق من انصرافه كان «أحمد» قد انتهى من مناقشة خطة السيطرة على القلعة ...

وفتح «أحمد» الباب ونظر خارجه، ثم أشار لبقية الشياطين الذين تسرَّبوا مسرعين ... كانت وجهتهم الأساسية الصالة الرئيسية، حيث توجد أبواب غرفة القيادة وغرفة «رد روك» ... ووصلوا إلى الصالة دون أن يُقابلوا أحدًا ... ولكن فجأةً سمعوا صوت أقدام تجري في الدهليز الذي به غرفة السجن حيث كان «أحمد» و«إلهام» ... وظهر رجل عليه علامات الانزعاج وهو يصيح: لقد هربا!

ولم ينطق سوى بهاتَين الكلمتَين ... فقد انطلق «عثمان» كالفهد ... وقفز عليه وسحبه أرضًا، وبقبضته الحديدية نزل على أنفه، ولكن الضوضاء التي حدثت كانت كافيةً لإطلاق صوت إنذار قوي داخل الدهليز ... وبدأت عشرات من الأقدام تجري هنا وهناك.

ونظر «أحمد» إلى باب غرفة «رد روك»، فوجد طاقةً زجاجيةً تُفتح ... وتُطل منها عينا «رد روك» وقد امتلأتا بالغضب ... وانطلقت رصاصة من مسدس «بو عمير» في اتجاه «رد روك» الذي اختفى بسرعة، ومرقت الرصاصة من الفتحة دون أن تصيبه.

وظهر بعض الرجال في بداية الدهليز ... وبدأت حركة رهيبة ... نصب خلالها الشياطين الستة الشرَك لرجال العصابة ... وكانت اللكمات تتطاير والأقدام تذهب في الفضاء ... والآهات ترتفع ... وفجأةً جاء صوت «رد روك» من مُكبِّرٍ للصوت يقول: قفوا جميعًا مكانكم وإلَّا أطلقت الصاروخ!

جمد رجال «رد روك» في أماكنهم لحظات ... كانت كافيةً لأن يُوجَّه إليهم ضربات سريعة ساحقة، انتهت بسقوط الرجال في أماكنهم.

وأسرع «أحمد» إلى باب غرفة «رد روك» يُحاول فتحه ... ولكنه قفز عائدًا وقد شُلَّت ذراعه تقريبًا ... فقد أطلق «رد روك» تيارًا كهربائيًّا صاعقًا في الباب الفولاذي.

صاح «أحمد»: انطلقوا في الدهاليز، وافتحوا الأبواب، وابحثوا عن مكان أجهزة الإطلاق ... أو أي شيء يُمكن أن يمنع إطلاق الصاروخ ...

ولم يكد «أحمد» ينتهي من جملته حتى دوَّى صوت قوي يصم الآذان ... واهتزَّت الجدران وترنَّح الشياطين في أماكنهم ... وكان واضحًا أن «رد روك» قد أطلق الصاروخ.

أسرع الشياطين يفتحون أبواب الكهف ويُطلقون الأضواء في كل مكان لهداية فريق العمل الذي أرسله رقم «صفر».

في صباح اليوم التالي تحدَّثت لبنان عن صاروخ ضخم انطلق في سماء لبنان من ناحية الجبل واتخذ مسارًا إلى البحر المتوسط واختفى في الأُفق ... وأوضحت بعض السفن والطائرات وأجهزة الرصد أنه قد شوهد صاروخ ضخم يشق سماء البحر المتوسط ويسقط في منتصفه تقريبًا ...

وحارت الصحف وألوف الناس ... بل والعالم كله في تفسير هذه الظاهرة الغريبة ... وظل ذلك الحديث بضعة أيام.

وفي المقر السري كان الشياطين يتلقَّون من رقم «صفر» هذا التقرير:

لقد أتممتم عملًا بطوليًّا لا مثيل له ... وأنقذتم بلادكم من دمار رهيب ... إنني أشكركم ... وبالمناسبة لقد رحل الطالب الأمريكي إلى بلاده ... واستطاع أن يكشف الكثير من أسرار العصابات التي كانت تُريد السيطرة على القنبلة الذرية ... وسوف تتخذ حكومة الولايات المتحدة الإجراءات اللازمة لمنع تكرار هذا الحادث الخطير ...

هنـــداوي